

فهم انحراف بنية الاستفهام في "البيان والتبيين" في ضوء نظرية الاستلزام الحواري

أ.م. د. أحمد رسن صحن
كلية الاداب/ جامعة البصرة

الملخص

للاستلزام الحواري ثلاثة معانٍ متداولة عند الباحثين هي : نظرية لسانية باحثة عن الدلالة الخفية. وظاهرة لغوية في الحوارات، ومعنى خفي يلزم المعنى الظاهر. جمع الباحث هذه المعاني في رؤية واحدة . ثم درس الانحراف في بنية الاستفهام في أخبار كتاب البيان والتبيين للجاحظ في ظلّ مبادئ نظرية الاستلزام الحواري المساعدة على فهم معاني الاستفهام ، فظهرت انحرافات عن مبدأ التعاون والمبادئ الأخرى التي تتدرج تحته: مبدأ الكم ومبدأ المناسبة ، ومبدأ طريقة الحوار في الوضوح الدلالي والإيجاز. ثم استعان الباحث بعدم الالتزام بهذه المبادئ في تبیین المعاني المضمرّة في النصّ الخبري ومنها : الترهيب ، والاستهزاء ، واليقين، والإخفاء ، والموعظة ، والقدرة على الفعل.

Understanding of deviation in the question structure in Albeean wel Tabeen in light of "Conversational Implicature" theory

Lect. Ahmed Racine Sehen

College of Arts / Basrah University

Abstract

The conversational Implicature has three meaning used by researchers which are: a linguistic theory looks for the hidden significance, a linguistic phenomenon in dialogues and a hidden meaning related with obvious one. This paper collects all the three meanings in a single vision. Then, it studies the deviation in the question structure Al-Jahiz Albeean wel Tabeen by using principles of conversational Implicature theory which helps in understanding meanings of question. The paper shows some deviations from Principle of co-operation and other principles which the given theory involves such as: Principle of quantity; Principle of relevance/ relation and Principle of manner. Then the researcher decided not to abide by these principles in the definition of Implicature in the statements which include: Intimidation, Mockery, Certainty, Concealment, and the ability to act.

مدخل : دلالة الاستلزام الحواري.

ظهرت لهذا المصطلح اللساني ثلاثة مواقف عند الباحثين هي :

١. أن الاستلزام الحواري نظرية لسانية تداولية ؛ لفهم المعنى المضمّر في الحوار .

٢. أن هذا المفهوم ظاهرة لغوية في الخطاب .

٣. أنه معنى لازم لمعنى ظاهر .

فاتخذ معنى الاستلزام ثلاث رؤى يمكن أن تتضح فيما يأتي :

الأولى . نظرية الاستلزام الحواري

هذا الفهم يشكل بعداً نظرياً إذ أُطلق عليها نظرية متكاملة^(١). لذا ينبغي فهمها فهماً دقيقاً قبل الشروع في تحليل النص الخبري في البيان والتبيين القائم على حوارية "السؤال والجواب" وتحديد تلك النظرية بنحو واضح لا مجال فيه للبس والغموض . فالنظرية وضعها غرايس^(٢) وهو من فلاسفة أكسفورد المتخصصين بدراسة اللغة الطبيعية التي يتكلمها العامة من الناس .

وهي بإيجاز تضع حلاً لإشكالٍ مفاده أن المتكلم يقول شيئاً ، ويقصد شيئاً آخر . وأن المخاطب يسمع شيئاً ، ويفهم شيئاً آخر^(٣). فأراد غرايس* أن يُقيم جسراً للعبور من المعنى الصريح إلى المعنى اللازم^(٤) وهذا الجسر ، والمنفذ للوصول إلى المعنى اللازم هو هذه النظرية التداولية التي عن طريقها يمكن حسم الإشكال الوارد أعلاه بمبدأ حوارى عام بين المتكلم والمخاطب هو (مبدأ التعاون) ويعني ((أن على أطراف الحوار أن تتعاون فيما بينها لتحقيق المطلوب))^(٥)

ويجبُ عليهم صدقُ النّوايا عند التّحاور، و((لا يفترض بهم أن يحاولوا تشويش أو خداع أو إخفاء معلومات ذات صلة عن أحدهم الآخر... ويمثّل هذا النوع من التعاون في معظم الأحيان مجرد نقطة بداية لفهم ما يقال))^(٦) ويقومُ التعاونُ على أربعة مبادئ فرعية^(٧) هي :

١- الكم . اجعلْ إسهامَكَ في الحوار بالقدر المطلوب من دون زيادة أو نقص .

٢ - الكيف . لا تقلْ ما تعتقدُ أنه غير صحيح ، ولا تقلْ ما ليس عندك دليلٌ عليه .

٣ - المناسبة . اجعلْ كلامَكَ ذا علاقة مناسبة بالموضوع .

٤ - الطريقة . كن واضحاً ومحددًا ، فتجنب الغموض واللبس ، وأوجز ، ورتّب كلامك .

فيتولّد الاستلزام الحواري من انتهاك بعض مبادئ الحوار . فإنّ انتهاك أحدها مؤشر إلى هدف المتكلم المستلزم في ظاهر كلامه^(٨) . فينشأ الاستلزام عندما ((لا يُرضي الجواب بصفة معقولة ما جاء في السؤال من طلب تمّ التعبير عنه))^(٩) .

الثانية . ظاهرة الاستلزام الحواري

قدّم الباحثون تعريفاتٍ متعدّدة تؤكد أنّ الاستلزام ظاهرة لغوية أبرزها ما يأتي :

١ - هي ظاهرة لغوية تكون فيها الجمل في بعض المقامات دالّة على معنى التزامي غير معناها الحرفي المباشر كما في الحوار الآتي :

- الأستاذ (أ) : هل الطالب (ج) مستعدّ لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

- الأستاذ (ب) : إنّ الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز .

فالمعنى الظاهر من الجواب يستلزم معنى آخر ، وهو أنه ليس مستعداً لمتابعة للدراسة في هذا القسم^(١٠) .

٢ - ((من أبرز الظواهر التي تميز اللغات الطبيعية على اعتبار أنه في الكثير من الأحيان يلاحظ في أثناء عملية التخاطب ، أن معنى العديد من الجمل إذا روعي ارتباطها بمقامات انجازها ، لا ينحصر في ما تدل عليه صيغها الصورية ... ثم كيف تتم عملية الاستلزام هذه ؟ أي كيف يتم الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم حوارياً؟))^(١١) .

٣ - ((فكرة أن جمل اللغة تدل في أغلبها على معانٍ صريحة وأخرى ضمنية تتحدّد دلالتها داخل السياق الذي وردت فيه . هذه الظاهرة سماها غرايس الاستلزام الحواري))^(١٢) .

الثالثة . المعنى اللازم للمعنى الظاهر

يرى بعضهم أنّ الاستلزام الحواري معنى مقصود كما في الآراء الآتية :

١ - ((المعنى التابع للدلالة الأصلية للعبارة))^(١٣) .

٢ - ((ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر ، جاعلاً مستعمله يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر))^(١٤) .

يضع الباحث قراءةً واحدةً لهذه الآراء الثلاثة تجمعها في فهمٍ واحدٍ منسجمٍ ، وهو أنَّ الاستلزام الحواري ((مصطلحٌ لسانيٌّ مركَّبٌ من لفظين: الاستلزام ، وهو الاسم ، والحواري وهو صفة هذا الاسم يحمل معنىً مركَّباً خلاصته هي: أنَّ هناك عمليةً عقليةً تسعى إلى فهم معنى الحوار المضمر عن طريق العبور من المعنى الظاهر إلى معنى ثانٍ ملازم للمعنى الأول يقصده المتكلم. والدليل عليه عدم الالتزام بقواعد الحوار أو بإحداها)). فهناك معنيان: لازم وملزوم ، وليس الاستلزام معنى واحداً كما في الرأي الثالث. إذ لا يمكن أن يتحقَّق الاستلزام إلا بالمعنيين معاً . وغاية الاستلزام هي السَّعي للإمساك بذلك المعنى غير المباشر.

فهذا التحليل يشكِّل نظريةً لسانيةً تداوليةً . وإجراء هذه النظرية ، ووجود مجالات تطبيقها في الحوار اللساني ، وتجلِّي أفكارها في النصوص المتداولة بكثرة يمثِّل ظاهرةً لغويةً . فهناك انطباق لهذه النظرية على الظاهرة اللغوية. والظاهرة اللغوية هي الموجة للمحلِّل في اكتشاف نظريته. فالنظرية مندمجةٌ في الخطاب التداولي لدى المتكلم والمخاطب من غير تركيز منهما على بعدها النظري . بل هي متحدةٌ مع طبيعة الذهن عندما يمارس فنَّ الحوار ((ومن المهم أن هذه المبادئ الثانوية تمثل افتراضاتنا غير المفصح عنها في المحادثات نفترض عادة أن يوفر الأشخاص كمية مناسبة من المعلومات ... وأن يقولوا الحقيقة، وأن يكونوا ذوي صلة بالموضوع ، وأن يحاولوا أن يكونوا واضحين قدر الإمكان. وقلما يذكر المتكلمون هذه المبادئ لكونها مفترضة في التفاعل الاعتيادي))^(١٥). والخلاصة أنَّ نظرية غرايس مندمجةٌ في المحاورات ثم تُنتزع منها ، ويتعبير موجز ((يُعدُّ منوال غرايس منوالاً استدلالياً مقيداً بقواعد المحادثة أو صادراً عنها))^(١٦) .

المبحث الأول : أدلة الاستلزام الحواري في بنية الاستفهام

أقسام الاستلزام الحواري

قسم غرايس الاستلزام الحواري على قسمين :

- ١ . استلزام عرفي قائم على العرف اللغوي عند أصحاب اللغة ، فبعض الألفاظ تستلزم دلالات ثابتة لا تتأثر بالسياق ، مثل (لكن) تستلزم أن ما بعدها مخالف لتوقع السامع .
- ٢ . استلزام حواري متغير بتغير السياقات^(١٧) .

والمبحث يختص بدراسة الاستلزام الثاني الذي يتجاوز المبادئ الحوارية الغرايسية ، ويؤسس لمعانٍ مستورة لا تفهم من لغة الحوار مباشرة. بل تفهم من طبيعة الحوار ومبادئه وسياقاته. وقبل أن نتعرف على القصد في الاستفهام نبدأ باكتشاف الدليل الهادي إلى الاستلزام، فالدليل والقرينة هما الكاشفان للمعنى المطلوب . وهذا الأمر قد مرّت الإشارة إليه في التمهيد وذلك بخرق أحد مبادئ التعاون العام أو أكثر، فهو علامة فارقة دالة على المعاني الخفية . وبالنظر إلى النص الخبري في البيان والتبيين للجاحظ ، وتحليل بنية الاستفهام فيه يتضح أن أطراف عملية الحوار لم يلتزموا بما يأتي من المبادئ الحوارية الآتية :

مبدأ التعاون

تظهر هذه الصورة من عدم الالتزام بالتعاون الحواري في التخاطب بين الطرفين "المخاطب والمخاطب" . والطرف الثاني "المسؤول" هو من يخرق هذا التعاون. فلا يريد أن يشارك المتكلم في الحوار ، ولا يجيب عن سؤاله . فيحدث فراغ حواري ينقطع عنده الكلام نظراً إلى حال المخاطب ، ووعيه بالمعنى اللازم لسؤال المتكلم.

وهذا الشكل الجديد يناقض مدعى غرايس إذ ((برهن غرايس على التلاحم بين مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه وبين الاستلزام الحواري على اعتبار أن الاستلزام الحواري ينجم عن خرق قاعدة من القواعد الأربع مع عدم التخلي عن مبدأ التعاون))^(١٨) . فالجواب عن ذلك السؤال البارز في الحوار تترتب عليه أمور لا يريدها المخاطب ، فتمنعه عن الجواب . ومن الأمثلة على هذا الانتهاك للمبدأ العام (التعاون) الحوارات الآتية :

❖ ((حدثني إبراهيم بن السندي. قال : بينا الحسن اللؤلؤي في بعض الليالي بالرقّة يحدث المأمون - والمأمون يومئذٍ أميرٌ - إذ نعس المأمون . فقال له اللؤلؤي : نمتَ أيها الأمير؟ ففتح المأمون عينه، وقال : سُوقِي والله خذْ يا غلامُ بيده))^(١٩) وذكر الخبر برواية ثانية ((حدثني إبراهيم بن السندي قال بينا الحسن اللؤلؤي يحدث المأمون ليلاً وهو بالرقّة وهو يومئذٍ ولي عهد، وأطال الحسن الحديث حتى نعس المأمون ، فقال الحسن : نعستَ أيها الأمير. ففتح عينيه وقال : سوقِي وربّ الكعبة يا غلام خذ بيده))^(٢٠)

إنّ هذا الحوار في سياق السلطة والمأمون يمثلُ قمةَ الهرم فيها ، ومعه اللؤلؤي ((الحسن بن زياد العلامة فقيه العراق... صاحب أبي حنيفة))^(٢١) ينصُّ الجاحظُ في الرواية على فعل الحوار (يحدثُ المأمون) وذلك الحديثُ طرفاه : المأمون، والحسنُ العلامة القاضي في المكان الرقّة والزمان الليل بدليل القرينة " بعض الليالي". السؤال الذي شكّل محور الخبر (نمتَ أيها الأمير؟) قد يكون حقيقياً. فيتطلّب جواباً من المأمون بـ"نعم" أو بـ"لا". ولم يُجب عنه . أو يُراد به التنبيه ؛ لأنّ المأمون قد نعس . والحديثُ بينهما لم ينتهِ بعدُ .

إنّ المثيرَ في الخبر ردُّ المأمون بعبارة (سُوقِي والله) إذ نسب القاضي إلى العامة من الناس. وشدة تركيز المأمون على هذه العبارة بالقسم مع ملاحظة أنّ العبارة نفسها لا تناسب مقام القاضي ، فهو ليس من الطبقة العامة ما يكشف عن معنى قصده المأمون ، وهو غضبه وانزعاجه من ذلك السؤال الذي لا يناسب شأن المأمون . حرصاً منه على إلغاء مبدأ التعاون . وإنّ قاله القاضي ؛ لأنّه لا يناسبُ مقامَ الأمير ، ولا يليقُ بشأنه ومكانته الاجتماعية . فبادر المأمون بقطع مبدأ التعاون الحوارية ؛ لشدة انفعاله حتى طردَ القاضي نفسه عندما أمرَ الغلامَ بإخراجه من مجلسه بدليل قوله (خذْ بيده)!! .

❖ ((دخل . إياس بن معاوية . الشام وهو غلام ، فتقدّم خصماً له. وكان الخصم شيخاً كبيراً إلى بعض قضاة عبد الملك بن مروان ، فقال له القاضي : أتقدم شيخاً كبيراً ؟ قال: الحقُّ أكبرُ منه. قال : اسكتْ . قال : فمن ينطق بحجتي؟ . قال: لا أظنك تقول حقّاً حتى تقوم. قال: لا إله إلا الله ، أحقاً هذا أم باطلاً ؟ فقام القاضي

، فدخل على عبد الملك من ساعته ، فخبّره بالخبر ، فقال عبد الملك : اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام ، لا يُفسد عليّ الناس))^(٢٢).

يبدو الحوار شديداً بين طرفين متفاوتين في المقام الاجتماعي: قاضي و غلام. فكم فرق بينهما!! ولكنّ ذكاء إياس حادّ. فأجاب جواباً محكماً لم يدع للقاضي منفذاً لمؤاخذته ومعاتبته بعدم مراعاته الأدب مع الشيخ. فالجميع يعلم أنّ الحقّ أكبر من الشيخ الكبير بل أكبر من كلّ شخصٍ ... ولا قيمة للعمر عند طلب الحقّ وإقامته، ولا سيما أنّ القاضي أعرفُ بهذه الحقيقة من الحاضرين في سياق الحوار التداولي .

فأمر إياس بالسكوت ؛ لإنهاء الحوار والتّخلص من الحرج الذي وقع فيه . ولكنّ الحوار استمرّ من إياس بسؤال حقيقي (فمن ينطق بحجتي؟) للتّخلص من طلب السكوت بخلق التناقض بين فكرة السكوت المطلوبة من القاضي وبين نُطق الخصم بحجته المطلوبة في القضاء أيضاً. وهذا يعني أنّ القاضي يناقض نفسه في طلب السكوت بالقوة، وبين طلبه المضمّر من سياق القضاء بأنّ يُدلي الخصم بحجته . فاضطر القاضي تارةً أخرى إلى أنّ يحتجّ على الصبي بأنّه لا يعرف الحقّ ، ولا يقول حقاً "لا أظنك تقول حقاً حتى تقوم" فذكر إياس أعلى مراتب الحقّ. وهو كلمة التوحيد" لا إله إلا الله" وأفحم القاضي مرةً ثانيةً ، فقطع القاضي الحوار، ولم يلتزم بمبدأ التعاون الحواري حتى يكتمل الحوار. ويتم الفصل في المحكمة بين الصبي والشيخ الكبير.

إنّ((الصمت كاستجابة حالة تطرف تشير غالباً إلى إعطاء الانطباع الخطير المتمثل بعدم المشاركة في البنية التحدّثية))^(٢٣). فهذا السكوت من القاضي، وتركه الصبي ، والتجأؤه إلى عبد الملك بن مروان والاستعانة به يكشف معنىً باطنياً في نفس القاضي، وهو عجزه وضعفه أمام قوة الدليل. ورغبته في إنهاء الحوار. فلم يجد إلا الاستعانة بقوة السلطان للتخلص من الوعي والفتنة والشجاعة لدى الصبي ما جعل عبد الملك نفسه يستشعرُ الخوف، فطلب من القاضي أنّ ينجّر حاجة الصبي، ويُخرجه من الشام خوفاً على سلطته من أنّ ينتشر الوعي والحقيقة بين الناس حتى لا يسكتوا على باطلٍ. ولو كان الباطلُ في القضاء والسلطة الحاكمة .

مبدأ الكم

هذا المبدأ يتمثل بكمية المعلومات المشار إليها في الحوار . فقد يكونُ الجوابُ عن سؤالٍ موجهٍ بعدم ذكر جانبٍ من السؤال ، ويحتال المجيبُ بتركه ذلك المطلوب كالحوار الآتي :

- أمل أنك جلبت الخبرَ والجبنَ .

- جلبتُ الخبرَ .

فالنقصُ الحاصلُ في الجواب دليلٌ على معنى آخر . وهو أنَّ المخاطبَ لم يجلب الجبن^(٢٤) أو تكون زيادة في المعلومة على المطلوب من السؤال كما في الخبر :

❖ ((قال طاهر بن الحسين لأبي عبد الله المروزي . منذ كم صرتَ إلى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال دخلت العراق منذ عشرين سنة وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة . قال يا أبا عبد الله سألتك عن مسألة ، فأجبتنا عن مسألتين))^(٢٥)

إنَّ السائلَ أراد معرفة مقدار وقت صيرورته إلى العراق بدليل اسم الاستفهام (كم) ؛ لأنه سأل به عن العدد ، فأجاب المروزي بتعيين المدة ، ولكنه أضاف أمراً آخر . وهو مدة صيامه التي لم تكن مطلوبة في السؤال ما أثار ذهن طاهر بن الحسين بسبب هذه الزيادة اللفظية . فعلق على الجواب بقوله " سألتك عن مسألة فأجبنا عن مسألتين " وكان ينبغي عليك تُجيب على قدر السؤال . ولا تُجيب بأكثر منه . وهذه الزيادة تستلزم معنى آخر غير المعنى الظاهر من الجواب وهو إظهار التزامه بالعبادة ، وتكشف الرياء الذي كان يضمه المروزي .

❖ ((قليل لطيفي : كم اثنان في اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة))^(٢٦)

إنَّ الإجابة فيها زيادة كلمة (أرغفة) التي لم تُذكر في السؤال . فهي تُشير إلى تعلق المجيب بالأرغفة ورغبته فيها . فيريد أن يقول : أعطني أربعة أرغفة ، ولا يريدُ الجواب عن السؤال الموجه إليه . فقد استثمر السؤال ووظف جوابه ؛ ليحصل على حاجته .

مبدأ المناسبة للموضوع

يوجبُ هذا المبدأ أن تكونَ هنالك علاقةً قويةً بين السؤال والجواب وهي "وحدة الموضوع" فإذا كان الحوار بين طرفين حول سفرة إلى حديقة جميلة ينبغي أن تكون

أبنية الاستفهام عن تلك الحديقة الجميلة وتكون الدلالات المتداولة عن جمالها وأشجارها وأطيافها وآثارها في النفوس وغير ذلك من الأفكار المتصلة بهذا الموضوع المحوري. ولا يحقُّ للسائل وللمجيب أن يخرجوا من موضوع الحوار إلى موضوع لا علاقة له بالموضوع الأول حتى يتحقق التعاون الحواري على الوجه المطلوب. فإن لم يلتزما بوحدة الموضوع فإن وراء هذا الانحراف قصداً خفياً يمكن توضيحه فيما يأتي :

❖ ((سأل رجلٌ بلالاً مولى أبي بكر "رضي الله تعالى عنه" وقد أقبل من الحلبة. فقال له : من سبق؟ قال : سبق المقربون قال : إنما أسألك عن الخيل. قال : وأنا أجيبك عن الخير))^(٢٧) .

كان الحوار عن سباق الخيل. والسؤال عن الفائز الأول فيه ، ولكنَّ الجواب لا يرتبط بالموضوع مباشرةً ، فهو عن جواب مضمّر تقديره: مَنْ سبق في الآخرة؟ وجوابه : سبق المقربون . لذلك

اعترض السائل على المجيب مبيّناً انحصار سؤاله بالخيل. وظلَّ بلال متمسكاً بجوابه كأنه يقول : لا تسألني عن الخيل. واسألني عن سباق الخير. وقد أجبتك عنه((فترك بلال جواب لفظه إلى خير هو أنفع له))^(٢٨) والغاية من الجواب هي الموعظة والتنبيه على السباق الحقيقي الذي ينبغي أن يسبق إليه المسلمون للفوز الأكبر بالنعيم المقيم .

❖ ((قال خلف: قلت لأعرابي ألقى عليك بيتاً ساكناً ؟ قال : على نفسك فألقه))^(٢٩) . يسأل خلفُ الأحمرُ . وهو من رواة الشعر. أعرابياً سؤالاً حذفَ همزة الاستفهام منه. والتقدير : "ألقى" والسؤال موضوعه إلقاء بيتٍ من الشعر ؛ ليسمعه الأعرابيُّ. وكان الجواب المتوقع بـ"نعم" أو "لا" وفاجأه الأعرابيُّ بجوابه بجملة "على نفسك فألقه" وهي لا ترتبط بموضوع الحوار "بيت الشعر" ولا تناسب السؤال. فضلاً عن أن الأعرابيَّ ذكر الضمير "هاء" المتصل بالفعل "ألقى" محوِّلاً دلالة الجملة من إلقاء بيت الشعر باللسان إلى إلقاء البيت الذي يسكنه الإنسان. والمعنى المتواري لدى الأعرابي هو إضحاك السائل وملاحظته. ويلحظ ثمة مبدأ آخر يتعاون مع مبدأ المناسبة في فهم المعنى وهو "الكيف"؛ لأنَّ الأعرابي لجأ إلى الغموض في التعبير لغرض المغالطة بعدم

ذكر "بيت شعر" وتحويله على المشترك اللفظي "بيت" الذي يدلُّ على البيت وهو المسكن والبيت الشعري لإثارة انفعال المتلقي بإدخال السرور على نفسه.

مبدأ طريقة الحوار التي تتضمن "الوضوح والإيجاز والترتيب"

نجدُ في بعض أخبار الجاحظ خرقاً لهذا المبدأ الذي يحقق نجاحَ الحوار ، فيستعمل طرفا الحوار لغةً غامضةً وغريبةً تخلخلُ دلالةَ الحوار ، وتعمي المعنى كما في النص الآتي :

❖ ((قال أبو علقمة النحوي : يا آسيُّ إني رجعتُ إلى المنزل وأنا سنقُّ لقس ، فأتيتُ بشنشنةٍ من لويّةٍ ولكيكٍ وقطع أقرن قد غدرن هناك من سمن ورقاق شرششان وسقيط عطعط ، ثم تناولتُ عليها كأساً . فقال له الطبيبُ : خذْ خرقاً وسفلاً وجرفاً ، فقال : ويلك أيُّ شيء هذا ؟ قال : وأيُّ شيء ما قلتَ ؟))^(٣٠).

فأغلب ألفاظ هذا الحوار لا نفهم حتى من المتحاورين أنفسهما ، فلم يكن استفهام الشخص الأول لبيان المعنى بدليل قرينة "ويلك" ولعله كان يقصدُ بالسؤال النهي : لا تقلْ هذا. وسؤال المحاور الثاني لا يقصدُ به المعنى المباشر. وإنما أراد تبكيّت الأول وإفحامه وإسكاته ؛ لأنه كان البادئ باستعمال اللغة الغامضة التي أثرت في إيقاف الحوار بينهما .

المبحث الثاني : المعاني الملازمة لبنية الاستفهام

في جدلية الحوار المتداول بين الشخصيات تتكاثر المعاني المستورة التي نفهم من معرفة محيط النص ومقامات الأشخاص و((إنَّ الاكتفاء بالقصد الإخباري انطلاقاً من المؤشرات اللسانية غير كافٍ ، إنّه بداية الطريق إلى قصد آخر أعمق ... بل قد تكون لهذا القصد الإخباري قيمة أخرى أو قصد آخر كالتهمك أو النصيحة أو التحدي إلخ . وذلك حسب السياق الذي يرد فيه القول))^(٣١)

وينبغي أن يربط الحوار بها حتى تتكشف دلالاته الخفية . وهذه المقدمات والشروط ينبغي أن يلتزم بها. فضلاً عن التحويلات الفكرية والأسلوبية التي تخرقُ المبادئ المتعارف عليها في منظومة الحوار ؛ لأنَّ فهم المعنى الناتج عن الاستخفاف بقواعد الحوار يتوقفُ على سياق الكلام وتأويل المخاطب لما يسمعه^(٣٢). وقد تمَّ

التعرّف على أبرز المعاني الملازمة للحوار. بعد الإحاطة . قدر الإمكان . بقرائن النصوص التي رواها الجاحظ ، وتفكيك المبادئ الحوارية التي شُيِّدَتْ عليها البنية الاستفهامية وهي :

أولاً . التهيب والتخويف

هذا المعنى اللازم يتداول في سياق السلطة والمقامات الاجتماعية العالية في كتاب الجاحظ "البيان والتبيين". فالحوار المتحقق في تلك الأوساط يقصد فيه الأفراد ذوو السلطان من وراء الاستفهام . وإن كانت مألوفة . معاني القوة والشدة والتهيب لغيرهم ، وكلّها تُبنى لحماية السلطة وحفظ مقام السلاطين والأمراء ، وليس للمحاور أن يتجاوز على منازلهم ومقاماتهم التي يشير إليها النص الآتي: ((مسألة الملوك عن حالهم من تحية التوكي ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير؟ فقل : صَبَحَ اللَّهُ الأمير بالكرامة! وإذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه؟ فقل: أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة ، فإنّ المسألة توجب الجواب. فإن لم يجبك اشتدّ عليك. وإن أجابك اشتدّ عليه)) (٣٣) .

والحجاج يتحاور مع أعرابي ، وينقل الجاحظ حوارهما. ونجد فيه بنية استفهامية مكونة من سؤالين للحجاج وجوابين من الأعرابي. وقد ((سأل الحجاج أعرابياً عن أخيه محمد بن يوسف كيف تركته ؟ فقال: تركته عظيماً سميناً. قال: ليس عن هذا أسألك. قال تركته ظلوماً غشوماً قال : أو ما علمت أنّه أخي؟ قال : أتراه بك أعزّ منّي بالله)) (٣٤)

يلحظ في هذا الخبر مبدئين يدلان على المعاني الملازمة وهما : مبدأ طريقة الحوار المتمثل بالوضوح . فالسؤال الأول يخلو من الوضوح المشترك بين المتحاورين ؛ لأنّ "كيف" يُسأل بها عن الحال. والأحوال كثيرة عند صاحبها. فالحالان الأولان : "عظيماً سميناً" لم يقصدهما الحجاج بدليل النفي في قوله " ليس عن هذا أسألك" فليس السؤال عن حال صحته بل عن حال سلوكه وتصرفه في الحكم. وهو ما كشفه الجواب الثاني " ظلوماً غشوماً" وهما حالان يدلان على المبالغة في الظلم والقسوة في الحكم. وهذه المعاني واضحة لا تحتاج إلى استدلال . ولكن يبدأ الانحراف في الحوار في

السؤال الثاني "أو ما علمت أنه أخي؟" ولا شك في أن الأعرابي يعرف أن محمداً أخو الحجاج. وهو أمر لا يخفى على العامة من الناس؛ فإنهم يعرفون مثل هذه العلاقة بين الأمراء. فماذا أراد الحجاج بسؤاله؟ إذ لم يُردّ اعتراف الأعرابي بمعرفة أخوته لمحمد بن يوسف بل كان يقصد تخويف الأعرابي، وترهيبه حتى لا ينطق بكلمة لا تُرضي الحجاج وإن كانت حقاً؛ لأنها تشكل خطراً على سلطان أخيه وتنزيراً لمرتبته. ومفتاحاً للجرأة والوقوف بوجهه.

ثانياً. الاستهزاء والسخرية

هذا المعنى المستلزم تتمحور حوله بنية استفهامية تشتغل في خفاء ومخاتلة مقصودة للإيقاع بالمحاور الآخر، وتسعى لإنجاز ذلك المعنى للحط من شأنه؛ ولتخطيط مقامه. وتستبطن معنى أخفى يتمثل في زهو الانتصار والتعالي على الآخر كما في الحوار الآتي:

❖ ((نظر معاوية إلى النّخار بن أوس العذري الخطيب الناسك في عبادة في ناحية من مجلسه، فأنكره وأنكر مكانه زراية منه عليه، فقال: من هذا؟ فقال النّخار: يا أمير المؤمنين إنّ العبادة لا تكلمك، وإنما يكلمك من فيها))^(٣٥).

إنّ السؤال الصادر من معاوية لم يكن حقيقياً؛ لأنه كان يعرف الخطيب. والخطيب نفسه أدرك الاستهزاء الذي قصده معاوية. فلم يجبه بما يناسب ظاهر الاستفهام. فيقول له: "أنا النّخار بن أوس". بل عدل عن الجواب المتوقع إلى جواب عن المعنى الخفي، فكان ردّه مناسباً للقصد البعيد الذي رامه معاوية. وما أراد أن يقول لمعاوية: لا تنتظر إلى شكلي ومظهري، ولا تستهزئ بي، ولا تسخر مني. وانظر إلى ذاتي وعقلي. واعلم أنّ حقيقة الإنسان بذاته وعقله.

ثالثاً. اليقين

يوحي بهذا المعنى الاستفهام عندما يتجاوز المجيب أحد مبادئ الحوار. كما تقدّم. ونجد هذه الحالة الحوارية مستقرة في النص الآتي:

❖ ((قيل لعلي بن أبي طالب "رضي الله تعالى عنه" كم بين السماء والأرض؟ قال: دعوة مستجابة. فقالوا : كم بين المشرق إلى المغرب؟ قال : مسيرة يوم للشمس. ومن قال غير هذا فقد كذب))^(٣٦).

السؤال الأول كان بـ"كم" وهي عن العدد. وهنا عن المسافة بين الأرض والسماء. وجواب الإمام علي "عليه السلام" عن السؤال لم يكن ببيان المسافة . بل بأمرٍ غير مألوف إذ لا تقع "دعوة مستجابة" بين مكانين متباعدين. فهذه الإجابة تقصد معنى أعمق ... كأنها تقول : تأمل أيها السائل في العلاقة بين الأرض والسماء تجدها علاقةً معنويةً قريبةً تتجلى في دعوة العبد وسرعة إجابة الرب. والسؤال الثاني كانت إجابته واضحةً يتحدّ فيها المعنى مع السؤال إلا أنّ الإمام أضاف إلى الجوابين عبارةً لم تكن مطلوبةً في بنيتي السؤال وهي " ومن قال غير هذا فقد كذب" وهذه الزيادة المقصودة تدعو المتلقي إلى التأمل فيها ؛ ليعرفَ علاقتها بسياقها النصي

وبعلاقتها بقائلها وبالمخاطب إذ إنّ السائل كان يطلب المعرفة الواقعية بالبعد بين الأرض والسماء. ومعرفة البعد بين المشرق والمغرب ، وهذا السؤال يصعب إدراكه في ذلك العصر غير أنّ الإمام العارف بذلك عن طريق النبي الذي علّمه الله تعالى بالوحي كان على يقين بالحقيقة العلمية ، فأراد أن يوصل اليقين والاطمئنان إلى قلب السائل عن طريق تلك الزيادة اللفظية التي تشكّل علامةً فارقةً للدلالة على المقصد المتواري في الحوار. ويُفهم منها : "أنّ قولي هذا هو الحقّ فتيقّن" وكلّ قولٍ غير قولي كذب ، فمن تسمعه يقول قولاً مخالفاً لقولي فهو كاذب لا محالة .

❖ ((نهض الحرث بن حوط الليثي إلى علي بن أبي طالب "كرم الله تعالى وجهه" وهو على المنبر. فقال : أتظنّ أنا نظنّ أنّ طلحة والزبير كانا على ضلالٍ ؟ قال : يا حارٍ إنّهُ ملبوسٌ عليك أنّ الحقّ لا يُعرفُ بالرجال ، فاعرف الحقّ تعرف أهله))^(٣٧).

المتوقع من الإمام علي "عليه السلام" جوابٌ يناسبُ الاستفهام . فيقول : نعم أولاً. ولكنه أثار ذهنَ الحرث بالنداء "يا حارٍ" الذي لم يكن يحتملُ هذا النداء مفاجئاً إياه بحقيقة حالته المعرفية التي اتّصفَ بها مؤكّداً ذلك بأداتي التوكيد "أنّ" و"إنّ" في قوله " إنّهُ ملبوسٌ عليك أنّ الحقّ لا يُعرفُ بالرجال" ؛ ليعرفَ الرجلُ واقعَهُ النفسي المتأثر

بالليس والضبابية التي تستر عنه حقيقة الوقائع ، وحقيقة الناس ومواقفهم. وكأنَّ الإمام يقولُ له: انتبه يا حرثُ، واخْلَعْ عن بصيرتك الشكوك ، والنقلد الأعمى لأراء الرجال الخاطئة، وتدبّر جيّداً، واعرف الحقَّ بنفسك واطمئنْ به. واعرض الرجال على الحقِّ حتى تعرفَ الصادقَ والكاذبَ حينئذٍ تكونُ على بصيرةٍ تكشفُ لك الحقيقة.

رابعاً . الإخفاء والتحسين

يوظفُ المتكلّم قدرته الاستعمالية في تحويل أفق الحوار من المعلومة المطلوبة في السؤال إلى معرفة جديدة متوارية لم يلتفت إليها السائل ، ويبقى السائل مقتنعاً بأنَّ جواب المسؤول هو الجواب الدقيق عن استفهامه في حين أنَّ الإجابة تتضمن دلالة مستورة كما في الخبر الآتي :

❖ ((سئل . رجلٌ . عن رجل في تزويج امرأة . فقال : "رزين المجلس ، نافذ الطعنة" فحسبوه سيّداً فارساً ، فنظروا فوجدوه خياطاً ! فسئل عن ذلك . فقال : ما كذبتُ ؛ إنّه لطويل الجلوس ، جيّد الطعن بالإبرة))^(٣٨) .

إنَّ دلالة الجواب الظاهرة تبيّن كمالَ الرجل المراد تزويجه إذ يفهم من "رزين المجلس" أنّه عالمٌ . ومن "نافذ الطعنة" أنّه شجاعٌ. ما يعني أنَّ الدلالة تضيف كمالاً وجمالاً إلى الشخص الذي لا يتصفُ . في واقعه . بهذين الوصفين: العلم والشجاعة. ويتوسّل المتكلّم بالكناية التي تضمّر أكثر من معنى : معنى قريب يقصده المتحدّث؛ لإقناع الطرف الآخر. وكأنّه يقول له: "هذا الخاطبُ رجلٌ عالمٌ وشجاعٌ فزوّجوه . وثمة معنى ثانٍ يقبّع خلف الدلالة الظاهرة يقصده

المتكلّم في نفسه ، ولا يريدُ أن يوصله إلى الآخر. وقد أُصرَّ على إخفائه؛ لإنجاح الغاية الحوارية وهي فعل الزواج وإنجازه في الخارج إلا أنّه صرح بالمعنى الخفي عندما بَانَ أمرُ الرجل، فأوضح "إنّه لطويل الجلوس ، جيّد الطعن بالإبرة" فمنّ طالَ جلوسه رَزَنَ مجلسه وحده ، وليس مجلسه العلمي الذي يحضره طلاب العلم، ويصغون لخطابه. ومن أجاد الخياطة بالإبرة كان نافذ الطعن بها في مواضع الثياب، وليس نافذ الطعن بالسهم في الأعداء. و المعنى الثاني هو الحقيقي المطابق للواقع، والمختبئ وراء المعنى الجمالي الظاهر في الكناية أعلاه.

❖ ((قال أبو عقيل بن درست : رأيت أبا هاشم الصوفي مقبلاً من جهة النهر ، فقلت له : في أي شيء كنت اليوم ؟ قال : في تعليم ما ليس ينسى ، وليس لشيء من الحيوان عنه غنى . قلت : وما ذلك ؟ قال : السباحة))^(٣٩).

الجواب الأول يتضمن أمرين يُخلّان بمبدأ طريقة الحوار وهما: الإطالة المخالفة لشرط نجاح الحوار المتمثل في الإيجاز الذي ينبغي أن يحققه المجيب بقوله: "كنت في السباحة" والغموض واللبس باستعمال (ما) التي تدلّ على العموم. ولم توضّحها صلة الموصول. فهناك أشياء كثيرة يمكن أن لا تُنسى، ولا يغنى الحيوان عنها.. فكان الجواب لغزاً أراد السائل أن يفهمه عندما سأل عنه مرة أخرى ، فكان الجواب الثاني واضحاً موجزاً. إذاً كان قصد الطرف الأول إخفاء حقيقة ما كان فيه ، وتعميته على الطرف الثاني. ولم يدم قصده مخفياً ؛ لأنّ السائل واصل الحوار باستفهام جديد حتى أنجز الطرفان هدف العملية الخطابية في التعرف على الواقعة الماضية.

خامساً . الموعظة والتهذيب

تفرّز البنية الحوارية بخروجها عن دائرة قواعدها المفصلة من قبل دلالة جديدة تفعل فعلها في إبلاغ رسالة يمررها المجيب إلى السائل من غير أن تكون مُعلنة حتى تلامس روحه في سهولة ويسر ، وتحقق هدفاً أسمى من الإجابة المباشرة عن السؤال المؤسس للنص الحواري . وتتجلى الوظيفة الإبلاغية بشكل حكمة مكثفة يقدمها المجيب كما في النص الآتي :

❖ ((قالوا ونظر شاب وهو في دار ابن سيرين إلى فرش في داره. فقال: ما بال تلك الآجرة أرفع من تلك الآجرة الأخرى؟ فقال ابن سيرين: يا ابن أخي إنّ فضول النظر يدعو إلى فضول القول))^(٤٠).

إنّ ابن سيرين لم يفسّر السبب الذي أراد الشاب أن يعرفه. وكان جوابه مختلفاً عن دلالة السؤال. فقد كسر نظام المناسبة الدلالية والموضوعية بين السؤال والجواب. ولو كان هذا السؤال وارداً في مجلس علمي لكانت عنه إجابة مناسبة تبين السبب. ولكن السياق النصي الخارجي أثبت مكان الخبر وهو "دار ابن سيرين" فقصد ابن سيرين أمراً آخر وهو: "ينبغي عليك أيها الشاب أن تحترم هذا البيت . ولا تنظر إلى ما

لا يحق لك النظر إليه ؛ لأنك في داري . وسؤالك هذا طراً عليك من نظرك في ما لا يعنيك.

❖ ((قالوا: بينا الشعبي جالس في مجلسه وأصحابه يناظرونه في الفقه وإذا شيخ بقره قد أقبل عليه بعد أن طال جلوسه. فقال له : إني أجد في قفاي حكةً أفترى لي أن أحتجم؟ قال الشعبي : الحمد لله الذي حولنا من الفقه إلى الحمامة))^(٤١).
في هذا الخبر يفاجئنا موقف الشيخ بإقباله على الشعبي وكان المتوقع أن يسأل الشعبي أو يناظره كما يفعل أصحاب الشعبي . ولكنه افتتح كلامه بأمر خاص به، ولم يكن متوقعاً في مجلس علمي أن يسأل هذا السؤال . والجواب عنه بـ"نعم أو لا". ولم نجد جواباً بل أثنى الشعبي على الله تعالى وحمده. وهذا الحمد يكون في مواقف النعم والآلاء التي يُعطيها الله العبد. فلم يلتزم الشعبي بمبدأ المناسبة الحوارية ما يعني أنه أسس خطابه لمعنى جديد يخرج عن الجواب المطلوب، ويدخل في دائرة الاستلزام التي يمكن فك شفرتها عند إدراك نقض مبدأ المناسبة مع ملاحظة أجواء النص الحوارية . وكأن الشعبي يقول : أيها الشيخ الكبير تأمل هذا المجلس واسأل عن الفقه . فنحن علماء فقه ، ولسنا أطباء حمامة.

سادساً . القدرة

يتضح معنى القدرة والقوة على الفعل في ظلّ البنية الاستفهامية بعد حدوث خرق لمبدأ تداولي ، يدفع المتلقي إلى مقارنة ذلك المعنى البعيد . فنجد في الحوار تفاعل الطرفين المتحاورين وهما يتبادلان السؤال في الخبر الآتي :

❖ ((قال قائل لإياس لم تعجل بالقضاء ؟ فقال له إياس : كم لكفك من إصبع ؟ قال : خمس. قال عجلت؟ : قال : لم يعجل من قال بعد ما قتل الشيء علماً وبقيناً . قال إياس : فهذا هو جوابي لك))^(٤٢).

القائل الأول يمتلك معرفة وإطلاع على مسيرة القاضي إياس ، ويصف حكمه بالعجلة وهي صفة سيئة ولاسيما في الحكم بين المتخاصمين . والجواب ينبغي أن يُبين السبب في هذه العجلة. ولكن انحرف الكلام إلى سؤال من إياس للقائل وقد ترك جوابه. فأنشأ استفهاماً " كم لكفك من إصبع ؟" وهذا السؤال لا يرتبط في معناه الظاهر بالسؤال السابق ولكنه شكّل تمهيداً للجواب عنه. فأجاب القائل عنه بسرعة ؛ لأنّه أمر واضح.

ثم أتى الاستفهام الثاني من إياس بحذف همزة الاستفهام في الأصل "أعجلت؟"؛ ليخلق الرابطة الدلالية بالسؤال عن سبب العجلة في الحكم. وليمهّد لبيان السبب. وليتفاعل السائل مع بنية الاستفهام الكلية ، فيصل إلى معرفة السبب وهو أن إياس كان قادراً على الحكم بسرعة ؛ لخبرته به ، ولوضوحه عنده كوضوح عدد الأصابع ، فلا عجلة في هذا السياق الذي يتضح فيه الحكم وضوحاً يصل إلى درجة اليقين.

❖ ((قال مسلمة بن عبد الملك لنصيب الشاعر : ويحك يا أبا الحنناء أما تحسن الهجاء ؟ قال : أما تراني أحسن مكان عافاك الله لا عافاك الله))^(٤٣).

يبدأ الاستفهام بقول مسلمة : "أما تحسن الهجاء ؟" وجوابه : نعم أو لا. غير أن الشاعر نصيب بدأ مستفهماً، فعدل عن بنية الاستفهام النمطية التي تتألف من سؤال وجواب. ودخل في بنية جديدة تتكوّن من استفهامين ما يؤشر إلى وجود معنى خفي مندرج في هذه البنية الجديدة يمكن أن يدركه القارئ بالمقارنة بين "الهجاء" وبين قول نصيب "عافاك الله لا عافاك الله" الذي يمثل تطبيقاً لغوياً لتحويل دلالة المدح "عافاك" إلى دلالة هجاء "لا عافاك" بطريقة سهلة بإدخال الحرف "لا" على الجملة المثبتة. فكأن الشاعر يقول :إني قادرٌ على الهجاء كقدرتي على المدح ، وأنا أحسنُ المعنيين معاً.

الخاتمة

كتاب البيان والتبيين يقصُّ أخباراً كثيرةً تُنبئ عن قدرة الجاحظ في اقتطافها من واقعها الاجتماعي وقد تأمل الباحث فيها ، فوجد جملة منها تتمحور حول بنية الاستفهام "السؤال والجواب" وامتازت تلك البنية الاستفهامية بمفارقات أسلوبية ودلالية تتنافر فيها الدلالة العامة في ظواهرها اللفظية. ما أسهم في إنتاج أسئلة لدى الباحث في تفسير هذه المفارقات والمخالفات النصية. فأراد أن يضع لها جواباً شافياً وحلاً مقنعاً بمقاربة تلك الأخبار عن طريق نظرية الاستلزام الحواري. وقد أنتجت هذه المقاربة في مكونات البنية الاستفهامية ما يأتي :

١. ثمة ثلاث قراءات في فهم الاستلزام الحواري :

أ. هو نظرية لسانية تداولية ؛ لفهم المعنى الخفي في الحوار.

ب . هو ظاهرة لغوية في الخطاب.

ت . هو معنى لازم لمعنى ظاهر .

صيرّ الباحث هذه القراءات الثلاث قراءةً واحدةً وهي "عمليةً عقليةً تسعى إلى فهم معنى الحوار المضمر عن طريق العبور من المعنى الظاهر إلى معنى ثانٍ ملازم للمعنى الأول يقصده المتكلم. والدليل عليه عدم الالتزام بقواعد الحوار أو بإحداها".

٢. حدّد الباحث الأدلة والقرائن الموصلة إلى المعنى المتواري في أخبار البيان والتبيين ذات البنية الاستفهامية وهي :

آ. إلغاء مبدأ التعاون من أساسه في بعض الأخبار؛ لإنهاء الحوار الذي يؤثّر استمراره في مقامات السلطة.

ب . عدم الالتزام بمبدأ "الكَم" وذلك يظهر في زيادة كمية الألفاظ في الجواب ؛ لتحقيق رغبة لدى المجيب تتمثّل في : الحصول على الحاجة مثل الشخص الطفيلي الذي أراد أن يحصل على الأرغفة بزيادة كلمة "أرغفة" في الجواب.

ت . خرق مبدأ المناسبة المعنوية بين السؤال والجواب ؛ لتحقيق النصيحة والملاطفة.

ث . الخروج عن مبدأ الوضوح والإيجاز لغاية النهي عن الكلام.

٣. فهم الباحث في ضوء المبادئ التي تمّ خرقها جملةً من معاني بنية الاستفهام المخفية وهي : الترهيب والتخويف كما في ترهيب الحجاج للأعرابي حتى لا ينطق بكلمة تمسّ سلطان أخيه وتحطّ من مقامه . والاستهزاء بالطرف الآخر "التّخار الخطيب الزاهد" في استفهام معاوية. واليقين في أجوبة الإمام علي لبعض الأفراد الذين يسألونه. وإخفاء الجواب الصحيح بوساطة الكناية ؛ لتبيين جمال الرجل المراد تزويجه في أحد الأخبار. والموعظة في حوار ابن سيرين مع الشاب. والقدرة على الفعل في جواب إياس القاضي، وفي جواب نصيب الشاعر.

الهوامش

- (١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٥٠ .
- (٢) لا يريد الباحث مناقشة أصول نظرية الاستلزام الحواري . فهناك دراسات قارنت بين نظرية غرايس والعلوم الاسلامية في البلاغة وعلم أصول الفقه تناولت هذه النظرية وتطبيقاتها . ومن تلك الدراسات : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي . د . طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي . الدار البيضاء . المغرب ط ٢٠٠٦ م . والاستلزام الحواري في التداول اللساني . العياشي أدراوي ، منشورات الاختلاف - الجزائر ط ١ ، ٢٠١١ م . والاستلزام الحواري في كتاب إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول للشوكاني . مقارنة غرايسية . زهوة عشور . رسالة ماجستير، كلية اللغات الآداب . الجزائر ٢٠١٤ م ، وغيرها .
- * ((هربرت بول جرايس (13 مارس ١٩١٣ - ٢٨ أغسطس ١٩٨٨م) ولد جرايس وترى في هاريورن (إحدى ضواحي مدينة برمنغهام الآن)، في المملكة المتحدة، ودرس في كلية كليفتون، ثم في كلية كوربوس كريستي، جامعة أكسفورد وبعد فترة وجيزة من التدريس في مدرسة روسال عاد مرة أخرى إلى جامعة أكسفورد حيث قام بالتدريس فيها حتى عام ١٩٦٧ . وفي تلك السنة، انتقل إلى الولايات المتحدة للحصول على الأستاذية من جامعة كاليفورنيا، بيركلي، حيث استمر في

التدريس حتى وافته المنية في عام ١٩٨٨. وقد عاد إلى المملكة المتحدة في عام ١٩٧٩ لإلقاء سلسلة محاضرات جون لوك عن سمات المنطق. وقد أعاد طباعة العديد من مقالاته وأبحاثه في كتابه الوداعي دراسات في الكلمات (Studies in the Way of Words) في عام ١٩٨٩ إن واحدة من أكثر مساهمتين مؤثرتين لجرايس في دراسة اللغة والتواصل هي نظريته عن المعنى، والتي بدأ في تطويرها في مقاله "المعنى (Meaning)" الذي كتبه في عام ١٩٤٨ ولكنه نشر فقط في عام ١٩٥٧ بعد تشجيع من زميله بي إف ستراوسون. وطور جرايس نظريته عن المعنى أكثر في محاضراته الخامسة والسادسة من سلسلة محاضرات ويليام جيمس والتي ألقاها عن "المنطق والمحادثة (Logic and Conversation)" في هارفارد في عام ١٩٦٧. وتم نشر هاتين المحاضرتين في البداية بعنوان "مقاصد المتكلم ونواياه (Utterer's Meaning and Intentions)" في عام ١٩٦٩ و"مقاصد المتكلم ومقاصد الجملة ومقاصد الكلمة (Utterer's Meaning, Sentence Meaning, and Word Meaning)" في عام ١٩٦٨، وتم تجميعهما فيما بعد مع المحاضرات الأخرى ليشكلا الجزء الأول من كتاب "دراسات في الكلمات" (Studies in the Way of Words) في عام ١٩٨٩. ((ويكيبيديا الموسوعة الحرة على شبكة الانترنت.

(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٣-٣٤ .

(٤) ينظر: نفسه : ٣٣ . قال المؤلف "ما يحمله من معنى متضمن". وهذا التعبير متداول في كتب أخرى مثل كتاب "عندما نتواصل نغير". قال المؤلف ص ٤٧ : ((مفهوم التضمنين لقد لاحظ كرايس أن بعض الأقوال تبلغ أكثر مما تدل عليه الكلمات التي تتشكل منها الجمل . إن هذا الجزء من دلالة الأقوال التي تنأى عن شروط حقيقة الجملة يطلق عليها تضميناً)) وهو ليس صحيحاً ؛ لأن الاستلزام يبحث عن معنى آخر خارج المعنى الظاهر ، وليس متضمناً فيه ، فتكون الدلالة التزامية لا تضمينية .

(٥) الاستلزام الحواري في التداول اللساني : ٩٧ .

(٦) التداولية : ٦٥ .

(٧) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٤ . والتداولية : ٦٨ . وفيه جدول المبدأ التعاوني لغرايس مفصلاً . وينظر : التداولية اليوم - علم جديد في التواصل : ٨٢ . والاستلزام الحواري في التداول اللساني : ٩٧-١٠٠ .

- (٨) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٣ .
- (٩) السيميائية وفلسفة اللغة : ٣٧٥ .
- (١٠) ينظر : التداولية عند العرب : ٣٣ .
- (١١) الاستلزام الحوارية في التداول اللساني : ١٨-١٩ .
- (١٢) ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي : ١٠٥ مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩ م .
- (١٣) الاستلزام الحوارية في التداول اللساني : هامش ص ١٨ .
- (١٤) نفسه : هامش ص ١٨ .
- (١٥) التداولية : ٦٧ .
- (١٦) التداولية اليوم : ٦٢ .
- (١٧) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٣ .
- (١٨) الاستلزام الحوارية في التداول اللساني : ١٠٢ .
- (١٩) البيان والتبيين : ٣٣٠/٢ .
- (٢٠) نفسه : ٣٧٨/٣ .
- (٢١) سير أعلام النبلاء : ٥٤٤/٩ .
- (٢٢) البيان والتبيين : ١٠١/١ .
- (٢٣) التداولية : ١٢٣ .
- (٢٤) ينظر : نفسه : ٧١ .
- (٢٥) البيان والتبيين : ٣١٩/٢ .
- (٢٦) نفسه : ١٧٥/٢ .
- (٢٧) نفسه : ٢٨٢/٢ و ١٦٠/٣ .
- (٢٨) نفسه : ٢٨٢/٢ .
- (٢٩) نفسه : ٢٢١/٢ .
- (٣٠) نفسه : ٢٧٠/٢ .
- (٣١) عندما نتواصل نغير : ٥٤ .
- (٣٢) ينظر : الاستلزام الحوارية في التداول اللساني : ١١٣ .

(٣٣) البيان والتبيين : ٢/ ٢٥٦ .

(٣٤) نفسه : ٣/ ١٥٦ .

(٣٥) نفسه: ١/ ٢٣٧ .

(٣٦) نفسه : ١/ ٢٧٤-٢٧٥ .

(٣٧) نفسه: ٣/ ٢١١ .

(٣٨) نفسه : ١/ ٣٣٨ .

(٣٩) نفسه : ٢/ ١٧٩ .

(٤٠) نفسه : ١/ ١٩٢ .

(٤١) نفسه : ٢/ ٣٢٢ .

(٤٢) نفسه : ١/ ١٠٠ .

(٤٣) نفسه : ١/ ٢٠٧ .

المصادر والمراجع

١. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر . د. أحمد محمد نحلة. دار المعرفة الجامعية . مصر، ٢٠٠٢م.
٢. البيان والتبيين . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ط٧، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة . مصر ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٣. التداولية . جورج يول . ترجمة د . قصي العتّابي ، ط ١ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.
٤. التداولية اليوم علم جديد في التواصل - آن روبول ، وجاك موشلار . ترجمة د . سيف الدين و د . محمد الشيباني ، ط ١ ، المنظمة العربية للترجمة - دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ٢٠٠٣ م .
٥. سير أعلام النبلاء . محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت٧٤٨ هـ) أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط. ط٩ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان ، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.
٦. السيميائية وفلسفة اللغة . أمبرتو إيكو . ترجمة د. أحمد الصمعي ، ط ١ ، مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . لبنان ، ٢٠٠٥م.
٦. ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي . أ . كادة ليلي. مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ع ١٤ معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي بالوادي . الجزائر ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م.

- ٨ . عندما نتواصل نغير "مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج" د . عبد السلام عشير .
أفريقيا الشرق . المغرب ٢٠٠٦ م .